

ملخص:

نحاول من خلال هذه الدراسة إبراز أهم الطرق والطقوس العلاجية، التي كان يعتمد عليها المغاربة للاستشفاء من الأمراض الضارية في البلاد، حيث عرفت البلاد انتشاراً واسعاً لها، وأودت بالكثير من السكان، وكان لها انعكاسات سلبية خطيرة على مختلف جوانب الحياة، لذا فقد تعددت طرق العلاج، فمنها العلمية، والتي اعتمد فيها على الجانب التطبيقي العلمي المأخوذ من الكتب الطبية القديمة خاصة اليونانية، وكذلك كان الإعتماد على الطرق التقليدية الشعبية، ثم ركن البعض إلى الإعتماد على السحر والشعوذة للحيلولة دون فتك تلك الأمراض والأوبئة بهم.

كلمات مفتاحية: الأمراض والأوبئة، بلاد المغرب الإسلامي، الطقوس العلاجية، السحر والشعوذة

Abstract:

We are trying, through this study, to highlight the most important methods and therapeutic rituals, on which Moroccans relied on to heal from diseases and epidemics in the country, as the country knew a wide spread of it, and it afflicted many of the population, and it had serious negative repercussions on various aspects of life, so there were many ways The treatment, from a scientific one, in which the applied, scientific aspect, taken from ancient medical books, especially the Greek ones, as well as the reliance on traditional folk methods, and then some

* المؤلف المرسل: محمد صديقي، الايميل: 9889med@gmail.com

focused on relying on magic and sorcery to prevent the killing of these diseases and epidemics in the various spectrums of society.

Keywords: Diseases and epidemics, the countries of the Islamic Maghreb, healing rituals, witchcraft and sorcery.

مقدمة

عرفت بلاد المغرب الإسلامي كغيرها من البلدان تفشي لأنواع مختلفة من الأمراض والأوبئة في مجالها الجغرافي، وكان لها انعكاسات جد خطيرة على الحياة العامة، مما ولد روح البحث عن سبل التخلص منها بمختلف الطرق فانتهجت بذلك طرق علمية، و شعبية تقليدية، وروحية في سبيل الخلاص، خاصة مما يولده الوباء من أثار سلبية على المجتمع، فظهرت بذلك نماذج من الاستشفاء، منها المعرفة العلمية والشعبية والشعبية التقليدية، وكيفية استعمال الأعشاب والعقاقير، وكذلك طقوس السحر والشعوذة، فكيف كانت تتم علمية المعالجة والاستشفاء من الأمراض والأوبئة في بلاد المغرب خلال ق 6-7هـ/12-13م؟

أولاً: طرق العلاج والاستشفاء

خلال فترة القرن الرابع للهجري والعاشر للميلاد ، أطنب الطبيب ابن الجزار في ذكر طرق المداواة من خلال كتابه "طب الفقراء والمساكين"، واعتمد على الفترات التي تلت القرن الرابع للهجرة من أجل التداوي به من الأمراض، حيث ذكر عدداً كبيراً من المواد العلاجية، والوصفات التي كان يذكرها ويحددها بنوعين: فنوع له أساس أقرباذيني(صيدلي)، ونوع أساسه المعتقدات الشعبية (ابن الجزار، 2004، صفحة 56، 57)، ومن خلال هذا الكتاب اتضح أن طرق العلاج والتداوي في بلاد المغرب الإسلامي كانت تسير وفق هذين النوعين المذكورين بصورة أساسية، أما الطرق الأخرى، فكان الإعتماد عليها ثانوياً.

أما في نهاية القرن 5هـ/11م بدأ يظهر نوع جديد من أماكن العلاج ويقصد بها دكاكين الأسواق، حيث كان نشاطها بين بيع الأعشاب وإعداد الأدوية والمشارب، حتى أنه اتخذ البعض دكاكين في الشوارع والأسواق لنفس الغرض (محمد حقي، 2007م، صفحة 33)، كما اعتاد الناس على التوجه إلى كل من يشاع عنه الدراية في الأمور العلاجية المختلفة ومنها:

1. السحر

استعمل المغاربة التداوي بالأعشاب والحمامات والكي وفي بعض الأحيان السحر والشعوذة (العكاوي رحاب لخضر، 2000، صفحة 245)، وكان حمل التمايم الوقائية بإفريقية مقبولا من الجميع ومنتشرا على نطاق واسع بينما كان الناس يستنكرون حمل التعاويذ والطلاسم السحرية، وقد كان الاعتقاد في نجاعة السحر يؤدي إلى تدخل القضاة من حين لآخر لردع الظاهرة (صوفية السحيري بن حنيرة، 2008، صفحة 298)، ويعد السحر من بين الطرق التي كان الناس يعتمدون عليها في طرق العلاج لأن غياب التفسيرات العلمية للمرض وأسبابه يرجع الكثير من الناس إلى التفسيرات المتصلة بالسحر والقوى الفوق طبيعية، ويتمثل السحر في الاعتقاد بأن القوى الفوق طبيعية يمكن التحكم فيها لتحقيق العلاج، وقد قسم السحر إلى سحر منتج، وسحر وقائي، وسحر مدمر (الإصابة بالمرض). (لطرش أمينة، 2010-2011، صفحة 60).

وكانت هناك معالجة خاصة للأمراض الغامضة التي يصعب مداواتها، فعندما يشعر الإنسان بضعفه ويؤمن بوجود قوى خفية تسيطر عليه، فيحاول بكل الوسائل أن يستعطفها مما يجعله يتجه للسحر والشعوذة (شحاتة فتاوي، 1996م، صفحة 17)، ومن بين الأمراض التي يعتقد ارتباطها بالسحر حالات الضعف العقلي، والجنون، والصرع، والمزاج الحزين، والسحر من المعتقدات القديمة السائدة في مختلف المجتمعات فالعرب قديماً كانوا يعتقدون أن الجنون رجل صرخته جنية، والجنونة امرأة صرعتها جني، وعلاج هذه الأمراض يكون بالطلاسم والشعوذة (لطرش أمينة، 2010-2011، صفحة 60)، كما كان للسحرة دراية بالأعشاب والعقاقير فكانوا يستعملونها في وصفات علاجية مفيدة للجسم مأخوذة من الأعشاب والتوابل (سمية مزدور، 2009/2008، صفحة 184، 185)، يمكن الإشارة إلى أن نجاح بعض أنواع الدواء أو الطلاسم يرجع لفعله النفسي أكثر من فعله الكيميائي أو الطبيعي (قرن كول، 2014م، صفحة 186).

كما حظي الساحر بمكانة مرموقة في بلاد المغرب على عهد المرابطين فلا يخالفه أحد، وكان الظن إذا خالفه أحد أو عصاه فتصب عليه صائبة في ماله أو بدنه (إبراهيم القادري بوتشيش، 1998م، صفحة 85)، إلا أن ظاهرة الإيمان بالخوارق والأمور الفوق طبيعية لم تكن في الدولة المرابطية بالكثرة التي صاحبت قيام الدولة الموحدية (حسن علي حسن، 1980، صفحة 480)،

وطرق علاج السحرة أنهم يستعملون بعض الشعائر ويحملون بعض الأحجية (شحاتة قنواقي، 1996م، صفحة 17)، وقد انتشرت بإفريقية بعض الممارسات الطبية والغيبية السحرية والتي تعود الناس وحتى السلاطين على استعمالها للمداواة (صوفية السحيري بن حنيرة، 2008، صفحة 297)، لكن كثيرا ما كان السحرة يخفون في تنبأهم الخاصة بالأمراض والأوبئة فإشاعة أن سلطان المهدي علي بن يحيى بن تميم أنه سيموت فيما بعد مضي عشرة أيام من شهر رمضان سنة 511هـ/ 1117م، غير أنه تمكن في تلك الفترة من طرد النورمان من جزيرة جربة، فكانت مناسبة لبعض الأدباء أن يشنوا حملة واسعة على مدعي الاطلاع على الغيب (البياض عبد الهادي، 2008، صفحة 104، 105).

لقد تعدت الاستعانة بالسحر إلى مختلف المنافع التي يحتاجها الإنسان، ومن بين هذه السلوكيات ما أورده الطغري وأبو الخير تحت عنوان " في علاج الزرع وما يطرح الآفة عنه " أن الفلاح إن أخذ جلد ذئب وصنع منه غربالا، وثقب ثلاثون ثقبه عدد كل ثقبه بقدر ما تدخل السنة - كذا- فيه وغرلت به الزرايع سلمها الله تعالى من الآفات. (البياض عبد الهادي، 2008، صفحة 147).

لقد قصد الكثير من الناس أصحاب السحر والشعوذة للعلاج عندهم خاصة لمن كان يعاني من أمراض مستعصية، وكان للسحرة حضور واضح في المجتمع بحيث اعتقد الكثير من الناس أنهم فئة لها خبرة ومعرفة في الأمور الغيبية والأمور التي علاقة بالعالم الآخر وقد كان الظن أن سبب الأمراض هو لسحر موجود أوجني سكن الجسم.

2. المعالجات الطبيعية

استغلت الطبيعة في معالجة الأمراض والأوبئة فكانت: الحمامات الطبيعية والأعشاب والعقاقير النفعية وكذلك الحيوانات، فإلى جانب معرفة الأطباء بالتشريح كانت معالجتهم باستخدام الوسائل الطبيعية فيلجؤون مثلاً إلى الاستشفاء بالحمية والغذاء فإن لم يتيسر الشفاء لجأوا إلى المعالجة بالأدوية المفردة، فالأدوية المركبة، (العكاوي رحاب الخضرم، 2000، صفحة 328)، ومن طرق العلاج الطبيعي هو الاغتسال في نهر فاس فمن فضائل ماء هذا النهر أنه يفتت الحصى ويذهب الصنان لمن اغتسل به ودوام على شربه (ابن أبي زرع الفاسي، 1972، صفحة 35).

يذكر الإدريسي أن المرضى وأصحاب العاهات المختلفة كانوا يترددون على شواطئ بحر الظلمات لالتقاط أحجار كثيرة ذات ألوان شتى وصفات مختلفات يتنافسون في أثمانها ويذكرون أنها تنصرف في أنواع العلاجات الطبية (الإدريسي، 1983م، صفحة 16)، ومن الأماكن الطبيعية التي قصدها الناس في بلاد المغرب قصد العلاج هي الحمامات فهي متواجدة في معظم البلاد ففي سجلماسة توجد بها حمامات لكنها حسب البكري ((رية البنا غير محكمة العمل)) (البكري أبو عبيدة، د، ت، صفحة 148) لكن من دخل سجلماسة من مرضى الجذام تتوقف علة.

3. العلاج بالكي

يعتبر العلاج بالكي من لطرق التي كان التداول عليها منذ القدم، وفي الموروث الإسلامي نجد أن الكي شكل نقطة اختلاف بين الفقهاء في إباحته أو تحريمه أو القول بأنه مكروه. قال النووي ((ما أحب أن اكتوى)) إشارة إلى تأخير العلاج بالكي حتى يضطر إليه لما فيه من استعجال الألم الشديد في دفع ألم قد يكون أضعف من ألم الكي (الكاندهلوي، 2000، صفحة 450)، وقد ترجم الطحاوي في شرح معاني الآثار: ((باب الكي هل هو مكروه أم لا؟)) فقد ذكر فيه أولاً الآثار الدالة على المنع، ثم قال: فذهب قوم إلى أن الكي مكروه، وأنه لا يجوز لأحد أن يفعله على حال من الأحوال، واحتجوا في ذلك بهذه الآثار، وخالفهم في ذلك آخرون فقالوا: لا بأس بالكي لما علاجه الكي، ثم أخرج روايات الإباحة، ثم قال ففي هذا الآثار إباحة للداء المذكور فيها (الكاندهلوي، 2000، صفحة 451).

أما عند ابن القيم الجوزية فقد قال أن الأحاديث التي تضمنت الكي أربع أنواع، أحدها: فعله. والثاني: عدم محبته له، والثالث: الثناء على من تركه، والرابع: النهي عنه، ولا تعارض بينهما بحمد الله تعالى، فإن فعله يدل على جوازه، وعدم محبته له لا يدل على المنع منه، وأما الثناء على من تركه، فيدل على أن تركه أولى وأفضل، وأما النهي عنه، فعلى سبيل الاختيار والكراهة، أو عن النوع الذي لا يحتاج إليه، بل يفعل خوفا من حدوث الداء (ابن قيم الجوزية، 2004م، صفحة 114).

قد استعمل الكي في بلاد المغرب الإسلامي للمعالجة من الأمراض وربما كان الإفراط في طريقة استخدامه في بعض الأحيان فقد كانت نازلة في حكم من اشترى أمة فاطلع بعد موتها على كي بها، عندما ابتاع رجل أمة وتبرأ إليه بائعها بمجموعة من الأمراض فيها، ثم لبثت خمسة أشهر وماتت وعند

تغسيلها اكتشفوا كي فاحشاً ولم يكن من ضمن العيوب التي ذكرها البائع، فأجاب القاضي عند وقوف الثقة على أن الكي كان فيها قبيل البيع فعليه أن يرجع له بما نقص من ثمنه (الونشريسي أبي العباس، 1981م، صفحة 146، 147).

ومن المواضيع التي كان الكي يستخدم فيها عادة الرأس حيث ينفع الكي من غلبة الرطوبة بالبرودة على الدماغ اللتين هما سبب الصداع، وكثرة النزلات من الرأس إلى ناحية العينين والأذنين، ووجع الأسنان، وأجاع الحلق، بالجملة لكل مرض يعرض من البرودة، كالفالج والصداع ونحوها من الأمراض (القحطان جابر بن سالم، 2004، صفحة 395).

4. الأعشاب والعقاقير

1.4. دور الأعشاب والعقاقير

إن الكثير من الأسر الفقيرة والمحتاجة ألجأهم الضرورة المادية والاعتقاد الجازم في نجاعة الطب الشعبي ففضلوا الاستشفاء بالأعشاب والعقاقير (إبراهيم القادري بوتشيش، 1998م، صفحة 102) فضلاً عن اللجوء إلى أمور أخرى، وتحظى الأعشاب والنباتات الطبية بمكانة هامة لدى المتطبين فاستخدامها لا يقتصر على الطب التقليدي بل هي أيضاً مصدر أدوية للطب العلمي (محمد حقي، 2007م، صفحة 65، 66).

على الرغم من كثرة النباتات الطبية، والتي يوجد بعضها في مناطق دون أخرى فإن توفرها أصبح أمراً ميسوراً إذا أصبحت تنقل من مكان إلى آخر شأنه شأن السلع الأخرى (التليسي بشير رمضان، 2003م، صفحة 518)، وكان يصعب على أصحاب الحسبة الكشف عن تلاعب بائعي الأعشاب والعقارين ((أما مركبات المعاجين والأشربة فصعبة الكشف عنها بعيدة الاستخراج بالجملة فلا يكاد أن يوجد من يستوفي النسخ من أهل الجدد فيها والطب بها فكيف الذين يصنعونها للغير ولا سيما الذين يسيطون بالرحاب وأفواه الطرق ومجتمعات العوام فؤلائك لا خلاف لهم ولا يبيعون إلا القهوة والأيمان الحانثة)) (السقطي، 1931م، صفحة 44)، ثم إن العطارين والصيدالة ((هؤلاء قوم شغلهم أوسع الأشغال، وأمورهم مختلفة الأحوال والكشف عنهم صعب المرام ... وليسوا من أهلها ولا من ذوي الخبرة بها)) (السقطي، 1931م، صفحة 41)، والمقصود هم الفئة الدخيلة عن هذه الحرفة والذين قصدهم الربح والتجارة، فكانوا ((يعشون الحناء بورق الرمان وسقوطه مع ورق الخبازي وبأوراق السدر

وبأوراق القنب، والفلفل بالكرسنة المدبرة، والزنجبيل بالموجود شبيهاً له)) (السقطي، 1931م، صفحة 41)، وهذه بعض نماذج الغش والتلاعب لهذه الفئة.

2.4. نماذج استعمال الأعشاب والعقاقير:

وقد استندت العلاجات الطبية أساساً على الأدوية النباتية واللقاح والفصد (عبد العزيز فيلالي، 2002، صفحة 246)، ومن نماذج استخدامات الأعشاب ما كان يستعمل لعلاج سم العقارب نبات الفوليون التي كانت موجودة بالقلعة فيذكر الإدريسي أن ((أهل القلعة كانوا يتحرزون منها ويحصدون من ضررها ويشربون لها نبات الفوليون الحراني)) (الإدريسي، 1983م، صفحة 255)، وكانوا يزعمون أن شاربها لا يصاب بشيء من ألم العقارب، كذلك استعمل المغاربة أنواع كثيرة من الأعشاب قصد التداوي ومنها ما كان مشهوراً بإكليل الجبل أو الشيح أو الحلحال وهو من أنواع الشجيرات كان يعرف عند العامة بفاس آزر وله ثمر صلب، وقد استعمل للطمث والبول، ومحلل للرياح، ومفتح لسدد الكبد والطحال، مقوي للرئة، ومن خواصه أنه يصبر لحم الميت ويمنع من إسراع النتن والتعفن إليه.

ومن العقاقير والأعشاب التي استخدمت للعلاج ما كان مصدرها السفوفات ((فهو يأخذ من النافع حبة حلاوة وعود السوس المجرود والصعتر ونوار الحلحال والأملج، من كل واحد أوقية، ومن السكر مثل الجميع، تدق الأدوية وتنخل وتضاف إلى السكر، ويستف منه عند النوم. منفعه: لمن أراد أن ينقي دماغه ويخفف رئته من رطوبات البلغم)) (الوزير الغساني، 1980م، صفحة 16).

وكانوا يستعملون رب السفرجل حيث ((يطبخ جيداً حتى يأتي في قوام العسل ويرفع من استطلاق البطن الحادث من الصفرا، ويقطع العطش والقيء الصفراوي إن شاء)) (مجهول، 2010، صفحة 214).

كما استخدم شراب التفاح فقد كان يطبخ فيما يغمره الماء حتى يتهرأ وتخرج قوته، ثم يصفى ويؤخذ صفوه ويضاف إلى رطل من السكر. صرته: العمود القماري أوقية تهشم وتجعل في صرة ويطبخ حتى يأتي في قوام الأشربة، الشربة منه أوقية بأوقيتين من الماء الدافئ من منفعه: يقوي القلب ويفرح. (مجهول، 2010، صفحة 234).

وقد استخدم شراب التمر الهندي بحيث يؤخذ من التمر الهندي رطل، ثم يمرس في خمسة أرطال من الماء، ثم يرمى بثقله ويضاف صفوه إلى رطل من السكر، ويطبخ الجميع حتى يصير في قوام الأشرية. الشربة منه أوقيتان بثلاثة أواقي من الماء البارد، من منافعه: يعالج الصفراء ويخرجها بالإسهال، ويقطع القيء والعطش، وينبه شهوة الطعام، ويذهب بمرارة الطعام في الفم (مجهول، 2010، صفحة 233).

ثانياً: أماكن العلاج

لقد تعددت أماكن العلاج والمداواة في بلاد المغرب الإسلامي على حسب تعدد طبقات المجتمع، فطبقة الحكام والسلاطين كانت لهم مصحات خاصة بهم، وللعمامة كذلك أماكن للتداوي والعلاج، كما أن فترة القرن 5-7هـ/ 11-13م شهدت تغيراً في الملامح السياسية للبلاد، لكن رغم هذا التغير إلا أنه ظل الاهتمام بالجانب الصحي والوقائي وترجم ذلك في استحداث مستشفيات (بيمارستانات)، وتم تنظيمها والشاهد في المصادر أنه من بيمارستانات المغرب من اشتهر وعرف بكبره وتنظيمه من كل الجوانب، فما هي أماكن العلاج التي كان يتداوى فيها المغاربة؟ وما هي أهم البيمارستانات التي أنشئت في البلاد؟ ثم ماهي تنظيماتها ودورها العلاجي؟

1. المنازل ومصحات القصور

تعتبر المنازل من أهم الأماكن التي كانت تقام فيها عمليات العلاج والتداوي، وقد كان عدد كبير من الأطباء البعيدين على القصور يقومون بمعالجة الناس في أماكن تواجدهم مثل المنازل، ففي القرن 5هـ/ 11م كان ابن الخياط ت 437هـ/ 1044م مقصوداً في بيته للعلاج (ابن بسام الشنتري، 1979، صفحة 438)، أما بقية الأطباء كانوا يقومون بخدمة الأمراء والملوك، لذا اهتم الأمراء بإنشاء أماكن علاج داخل قصورهم، وكما ذكرنا سابقاً أن الخليفة المنصور الموحيدي 580هـ-594هـ/ 1185-1199م أنشأ خزانة للأشرية وعين عليها أبا يحيى بن القاسم الإشبيلي ومن بعده ابنه (ابن أبي أصيبعة، 1956م، صفحة 180)، كما كان ليوسف بن فتوح العشاب ت 562هـ/ 1239م دكان لبيع الأعشاب (ابن القاضي المكناسي، 1973م، صفحة 75)،

2. البيمارستانات

بفتح الراء وسكون السين وهي كلمة فارسية معربة تدل لفظها على أنها كلمة مكونة من جزئين (بیمار) وتعني مريض و(ستان) وتعني مكان ودار فهي دار المرضى ثم اختصرت في الاستعمال فصارت تسمى مارستان (ابن منظور ، 2015، صفحة 04).

ولقد كانت البيمارستانات منقسمة إلى قسمين منفصلين عن بعضهما قسم للذكور وقسم للإناث، وكل قسم مجهز بما يحتاجه من آلة وعدة وخدم فراشين من الرجال والنساء، يوجد في كل قسم عدة قاعات للعلاج لمختلف الأمراض وهذه القاعات: قاعة لعلاج الأمراض الباطنية، وقاعة للجراحة وقاعة للكحالة وقاعة للتجهيز، ولكل قسم رئيس وللبيمارستان كذلك رئيس يسمى ساعور البيمارستان (محمد المنوي، 1977، صفحة 132، 132).

1.2. أنواع البيمارستانات

هم نوعان ثابت ومحمول متنقل ، فالثابت وهو الذي كان بناءه مشيد ذو معالم محددة ووجد في مختلف البلدان الإسلامية، وكان كثير الوجود في كثير من بلدان العالم الإسلامي والمحمول هو الذي ينتقل من مكان إلى آخر بحسب ظروف الأمراض والأوبئة وانتشارها وكذا الحروب (ابن أبي أصيبعة، 1956م، صفحة 221)، وقد كان هذا النوع معروفاً لدى الخلفاء والملوك وهو مجهز بجميع ما يلزم المرضى والمداواة من أدوات وأدوية وأطعمة وأشرية وملابس وأطبباء وصيادلة (عيسى بيك ، 1981م، صفحة 11)، كما أشار ابن أبي أصيبعة على أن البيمارستانات كانت كما هو معروف للتطبيب وكذلك التعليم ، وكانت تحياً أماكن أماكن خاصة للطلبة الذين يتعلمون ويتلقون علوم الطب (ابن أبي أصيبعة، 1956م، صفحة 155) فقد كان عبارة عن مدرسة طبية فيها أساتذة كبار وطلاب من مختلف الأصقاع والأقطار ومكتبات عامرة (ابن جزار القيرواني، 1980م، صفحة 43)، كما كان للبيمارستان ناظر ينظر أو يشرف على إدارته وكان النظر عليه معدوداً من الوظائف الديوانية العظيمة (عيسى بيك ، 1981م، صفحة 22).

أما عن أول المستشفيات نشأة في الإسلام هي المستشفيات الحربية المتنقلة إلى أن جاء الوليد بن عبد الملك الأموي فاتخذاً للمجذومين وغيرهم من ذوي العاهات داراً خاصة، ثم تتابع الأمر حتى

عمت حواضر الإسلام من سمرقند إلى فاس إلى غرناطة بالمنشأة الخيرية (عيسى بيك ، 1981م، صفحة 15).

كما يبدو أن الموحدون هم أول من اهتموا بإنشاء المارستانات العظيمة التي ضاهت بمارستانات المشرق (إبراهيم حركات، 2000، صفحة 346)، رغم أنه كان في القيروان بمارستان هو الأول من نوعه في إفريقية أنشئ في مكان يدعى (الدمنة) فأصبح اسم المستشفى بالدمنة، وظل المستشفى قائماً حتى خراب القيروان من جراء الزلزال الهلالي منتصف القرن 5هـ/11م (ابن الجزار، 2004، صفحة 42)، والدمنة في القيروان والمغرب الأدنى هي مماثلة للبيمارستانات في المشرق من حيث الإدارة والهندسة وتوفير الأطباء العاملين والتجهيز (السامرائي كمال، 2000، صفحة 584)، وكانت مصاريف الدمنة تسدد من خلال الأموال والعطايا التي يتبرع بها الوجهاء والأغنياء من أهل البر والإحسان أودوي المرضى، (ابن الجزار، 2004، صفحة 43) كما زودت الدمنة بعدد من الممرضات اللائي يسهرن على راحة لمرضى ويمنعن الزوار من الاتصال بهم إلا بطرق منظمة (التليسي بشير رمضان، 2003م، صفحة 493).

وكذلك في بجاية قام أهلها بإنشاء بيمارستان الذي جهز تجهيزاً جيداً وأحفظوا الأطباء وحافظوا على الصحة العامة (محمد الشريف سيدي موسى، 2009، صفحة 191)، أما في العهد الحفصي فيذكر الوزان أنها تحتوي على ((حمامات وفنادق ومارستانات وكلها صروح مشيدة حسنة البناء)) (الحسن الوزان ، 1983، صفحة 50) فقد كانت كل هذه الصروح تشيد لغرض الصحة.

ولما وصل المرينيون إلى السلطة توسعت حركة بناء المارستانات وصارت مدن كثيرة تحتضن مؤسسات من هذا النوع ومنها: فاس، مكناس، مراكش، وتازا، وآسفي، وفي هذا العهد صار المارستان الرئيسي في العدة المغربية هو مارستان فاس باب الفرج (محمد حقي، 2007م، صفحة 37).

وفي العهد الزياني فقد كان البيمارستان يستقبل الغرباء ويستضيفهم لمدة ثلاثة أيام وكان يداوي الحيوانات الجريحة كما يتكفل بغسل أموات الغرباء وكفنهم ودفنهم، والظاهر أن المستشفى كان يعالج الناس باستخدام الموسيقى، فقد كان له وقف يرسم الموسيقى للذين كانوا يزورونه، ويقدمون للمرضى ونزلائه نغمات موسيقية خاصة (عبد العزيز فيلاي، 2002، صفحة 247).

الخاتمة

يمكن الاستفادة من هذه الدراسة في تبيان نماذج من أهم الطرق والطقوس المعتمدة من سكان بلاد المغرب الإسلامي للاستشفاء من الأمراض والأوبئة وهي :

- الاستعانة بالسحر والشعوذة للتخلص من الأمراض وخاصة الأوبئة وظهور تفاسير روحية بعيدة عن مفهوم الواقع العلمي والعلاجي لمختلف الأمراض، كما كان للسحرة مكانة مرموقة وسط العامة.

- استعانة السكان بما توفره الطبيعة من أماكن استشفائية خاصة الحمامات الطبيعية.

- الاعتماد على الطرق الدنية التي كان لها ذكر في التراث الإسلامي فقد زخر الموروث العلمي بأهم طرق العلاج المستقاة من القرآن والسنة.

- كما كان للأعشاب والعقاقير دور كبير في توفير مواد العلاج واعتمد عليها المغاربة بشكل كبير في الاستشفاء .

قائمة المصادر والمراجع

- 1 الموسوعة الفقهية، الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، 1415هـ/1995م، ج32، ص، ص 240، 241.
- 2 ابن الأحمر إسماعيل، بيوتات فاس الكبرى، الرباط، دار المنصورة للطباعة والوراقة، (د، ط)، 1972.
- 3 ابن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة والمحتسب، تح: ليفني بروفينسال، القاهرة، مطبعة المعهد العلمي للآثار الشرقية، (د، ط)، 1955م، ص 19.
- 4 ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، (د، ط)، 2004، ج3.
- 5 ابن منظور، المصدر السابق، ج 13، ص 79. أحمد عطية الله، القاموس الإسلامي، القاهرة، (د، ط)، 1963م مجلد1، ص 413. عيسى بيك، المرجع السابق، ص 04.
- 6 أبو القاسم محمد إبراهيم الغساني الوزير، حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار، تح: محمد العربي الخطاوي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1، 1410هـ/1980م.
- 7 أبو جعفر أحمد بن الجزار، طب الفقراء والمساكين، تح: الراضي الحازة وفاروق عمر العسلي، تونس، الجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون. (د، ط)، 2004.

- 8 أبي حسن علي ابن بسام الشنتري، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، (د، ط) 1979، ج1.
- 9 أحمد إبراهيم بن أبي خالد بن الجزار القيرواني، الطب في المعدة وأمراضها ومداواتها، تح: سلمان قطابة، (د، ط)، دار الرشيد للنشر، (د، ط)، 1980م، ص 43.
- 10 السامرائي كمال، مختصر تاريخ الطب العربي، سورية، دار النضال، (د، ط)، ج1، 584.
- 11 السقطي أبو عبد الله محمد بن أبي محمد ت 631هـ/ 1234م، في آداب الحسبة، نشر: ليفي بروفينسال وجيم كولان، باريس، المطبعة الدولية، 1931م.
- 12 العكاوي رحاب خضر، الموجز في تاريخ الطب عند العرب، بيروت، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، (د، ط)، 2000م.
- 13 الكاندهلوي محمد زكريا بن محمد بن يحيى، أوجز المسالك إلى موطأ مالك، تح: أيمن صالح شعبان، بيروت، دار الكتب العلمية، (د، ط)، 2000.
- 14 حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط1، 1980م.
- 1 صوفية السحيري بن حثيرة، الجسد والمجتمع دراسة أنثروبولوجية لبعض الاعتقادات والتصورات 5 على الجسد، بيروت، دار محمد علي للنشر، ط1، 2008م.
- 6 قرن كورل، طبائع الناس وطرق التعامل معهم (تطبيق علم النفس في مكان العمل وفي الأسرة)، تر: عمار قسيس، دمشق، وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب، ط1، 2014م.
- 17 لطرش أمينة، الأعشاب الطبية ممارسات وتصورات مقارنة أنثروبولوجية، رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، 2011، 2012م.
- 18 مجهول، أنواع الصيدلة في ألوان الأطعمة الطيبخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، تح: أبو العزم عبد الغني، مؤسسة الغني للنشر، (د، ط)، 2010م، ص 240.
- 19 محمد الشريف سيدي موسى، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بجاية من عصر الموحدين إلى الاحتلال الإسباني، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 1430هـ/ 2009م، ص 191.
- 20 إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين،